المحور :المؤلفات حول الأخلاق قديما وحديثا

عنوان المداخلة :

# جهود علماء المغرب الإسلامي في الدّرس الأخلاقي
# محمّد بن سحنون القيرواني التّونسي نموذجا ( ت 256هـ)

The efforts of Islamic Maghreb scholars in the moral lesson
Muhammad bin Sahnoun al-Qayrawani al-Tunis as a model (d. 256 AH)

الدكتور: قول معمر - koul maamar
جامعة الوادي، كلية العلوم الإسلامية، الوادي/ الجزائر
University of El-Oued, Faculty of of Islamic Science, El-Oued/Algeria
Maamar-koul@univ-eloued.dz ORCID ID: 0000-0002-1531-0197

- **مقدّمة :**

يُعتبر محمد بن سحنون ( 202هـ-256ه) القيرواني، من أبرز علماء تونس وأبرز فقهائها، وقد أشاد القاضي عياض في ترتيب المدارك بمكانته، وجهوده في الذبّ عن مذهب أهل المدينة، إضافة إلى كونه عالماً بالآثار،من أبرز كتبه التي خلّفها كتابه التربوي الأخلاقي آداب المعلمين،.حيث بوبه إلى عشرة أبواب وهي: (ما جاء في تعليم القرآن- العدل بين الصبيان- ما يُكره محوه من ذكر الله- ما جاء في الختم- ما جاء في العطية- ما يُخلّى فيه الصبيان- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان- أُجرة المعلم- إجازة المصحف وكتب الفقه (الجائزة والعطية)- ما يجوز من العقاب وما لا يجوز.

وقد جاء منهجه في الكتاب متناغما مع البيئة الأسرية التي عاش فيها والمشرب الفقهي الذي ينتمي إليه، حيث سار في كتابه متأثرا بالفقه المالكي الذي ساهم في إرساء قواعده والده سحنون (240 ه)، فقيه المغرب المشهور، والأبواب العشرة التي تناولها محمد بن سحنون استخلصها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتابه عبارة عن أحاديث وآثار مسندة ألقاها على والده سحنون ، الذي كان إماما في المذهب المالكي ببلاد المغرب، ومضمون الكتاب في تربية المتعلمين وآداب المعلّمين والمتعلّمين، ممّا يؤكد على مشروع التأسيس الأخلاقي التّربوي والبناء المعرفي والرّوحي للأفراد على ضوء التعاليم الدينيّة، كما تؤكد المرجعيّة المعرفيّة في كتاب الرّجل على بناء الذّات بالقيم الإسلاميّة المستمدّة من نور الوحي الشّريف ، وهو منهج تربوي ينبغي استحضاره في الرّاهن في ظلّ حضارة الكمّ والأشياء وطُغيان الفكر المادّي والغزو الفكري وانفتاح العالم والثّقافة السّائلة، وهذا كلّه أفرز انسلاخا وانقطاعا عن نور الوحي وصفاء الفطرة، ممّا يحتّم علينا العودة إلى الذّات والاستفادة من الميراث الأخلاقي التّربوي الذي أرساه القرآن الكريم ، والنبي ρ .

- **إشكالية الدّراسة:**

على ضوء ما سبق بسطُه نطرح الإشكالية المركزية التالية

ما هي أبرز الدّوافع التي دفعت محمّد بن سحنون لتأليف كتابه آداب المعلّمين؟ وما هي معالم الدّرس الأخلاقي التّربوي فيه وما هي أبرز الأحاديث التي وظّفها في كتابه؟ وما هو أثرها التربوي ودورها في بناء الشخصيّة الإسلامية آنذاك؟.

- **أهميّة الدّراسة:**

تبرز أهميّة هذا البحث في إبرا ز معالم الدّرس الأخلاقي عند أحد علماء الغرب الإسلامي في القرن الثالث الهجري، من خلال كتابه آداب المعلّمين الذي يُعتبر سبْقا أخلاقيا وتربويا في الفكر الإسلامي عموما والأخلاق الإسلامية خصوصا، لا سيما إذا أخذنا يعين الاعتبار أنّ التأليف في علم الأخلاق – في جانبه التنظيري- كان مع ابن مسكويه ( ت421هـ):صاحب كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وكتاب الفوز الأصغر ، ومن هذا المنطلق كان محمّد بن سحنون له فضل السّبق في الدّرس الأخلاقي التّربوي من الناحيّة

العمليّة. خصوصا وأنّ القاعدة المعرفية التي اعتمدها هي آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ρ .ولعلّ هذا ما يؤكد نزعته الفقهيّة والحديثيّة ، على عكس ابن مسكويه الذي امتزج في درسه الأخلاقي الجانب النّظري الفلسفي.

✓ **أهداف البحث:**

تسعى هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف التالية:

-إبراز جهود محمد بن سحنون في الدّرس الأخلاقي التربوي – العملي-

-إبراز قيمة كتاب محمد بن سحنون الأخلاقيّة التربوية

-الكشف عن أثر السياق الزمني والاجتماعي في اتّجاه محمد بن سحنون للتأليف في الجانب الأخلاقي التّربوي.

✓ **منهج البحث:**

مما يتناسب وهاته الدراسة استخدام المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك من خلال استقراء الكتاب قيد الدّراسة - آداب المعلمين - واستخراج معالم الدّرس الأخلاقي التّربوي منه ، من خلال مُختلف القيم الأخلاقيّة التي أشاد بها المؤلّف مُستعينا في ذلك بنصوص الوحي من الكتاب والسُنّة مع بيان أثر توظيفها من الناحيّة المعرفيّة والتربويّة.

✓ **خطة العمل:**

1.محمد بن سحنون عصره وحياته وآثاره

2. النصّ الحديثيّ ومضامينه التربويّة الأخلاقيّة عند محمد بن سحنون من خلال كتابه

خاتمة

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

## 1.محمد بن سحنون عصره وحياته وآثاره :

### 1.1.عصره:

عاش محمّد بن سحنون في الفترة الممتدّة بين سنتيْ (202 هـ-256 ه)، وهي المرحلة الذهبيّة من تاريخ الإسلام، التي تلتْ مرحلة البناء والتأسيس التي امتدّت من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية سنة 131ه، وقد مهّدت المرحلة التأسيسيّة لانبثاق فكر حضاري وتطوّر منقطعِ النّظير، وازدهار بلغ أوجَه في مختلف مناحي الحياة المعرفيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وذلك بفضل انتشار الإسلام ورسالة سيّدنا محمد ρ، حيث وصل الإسلام إلى ربوع العالم كلِّها، من المحيط الأطلسي في أقصى المغرب إلى حدود الصّين في أقصى

الشّرق ومن وسط آسيا إلى أدغال إفريقيا جنوبا، وكان هناك حضارتان في عاصمتين من أكبر الحواضر الثقافية في ذلك الوقت وهما: الدّولة الإسلاميّة بالمشرق، وقد طُبعتْ بطابع حضاري مميّزٍ، تمثّل في:

- انتشار اللغة العربية في جميع أنحاء آسيا انتشارا سريعا، والدّليل على ذلك إسهام علماء العجم في حركة التأليف والتّدوين في مختلف العلوم (البخاري – النّسائي- التّرمذي – مسلم – سيبويه –نفطويه - ابن خالويه، وغيرُهم كثير.[1]

-الازدهار الاقتصادي للدّولة العباسيّة، تمثّل في شقّ العباسيين للطّرق وتقدم الزراعة. إضافة إلى استغلال العباسيين للثّروات الباطنيّة كالحديد بخراسان ومناجم الرّصاص بكرمان.مع استغلال مصادر النفط والأحجار الكريمة أيضا.

- ازدهار الفنون والآداب وظهور فن المقامات وألف ليلة وليلة.- بناء المستشفيات (البيمارستانات) والمراصد الفلكية.

– تأسيس بيت الحكمة في بغداد في عهد المأمون.- ازدهار العلوم الشرعية النّقلية (فقه – تفسير- حديث ...)، والعقلية (كلام - منطق- فلسفة).- تأسيس المدارس الفقهية (المذاهب الفقهية الأربعة نموذجا).-[2]

إن هذه المظاهر جميعا مؤشّر حضاريّ كبير على ازدهار العلوم والصّنائع والعمران وفق الرؤية الخلدونيّة: "فإذا تمدّنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفّت بالضّروري وزادت عليه، صرف الزّائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش. ثم إن الصّنائع والعلوم إنّما هي للإنسان من حيث فكرُه الذي يتميّز به عن الحيوانات، والقوت له من حيث الحيوانيةّ والغذائيّة، فهو مُقدَّم لضرورته على العلوم والصّنائع، وهي متأخّرة عن الضّروري. وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصّنائع للتأنّق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفّر دواعي التّرف والثّروة."[3]

ولا غرابة أن نجد المنصفين من المستشرقين يسجّلون ريادة الحضارة الإسلاميّة في هذه الفترة وفضلها على الحضارة الغربيّة في مختلف العلوم، من ذلك ما بسطته السيّدة زيغريد هونكه في كتابها شمس الله تسطع على الغرب، أين أعربت في مقدّمة كتابها عن دافع الإنصاف والموضوعية: "أردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصّب ديني أعمى أو جهل أحمق."[4]

وقد عرفت بلاد المغرب وإفريقيا – على غرار المشرق - تأسيس دولة إسلامية، أرسى قواعدها الفاتحون الأوائل بمجيء عقبة بن نافع الفهريّ (50هـ)، حيث كان المغرب جزءا من الإمبراطوريّة الرومانيّة التي عملت على نشر ثقافتها اللاتينية وأنظمتها التّعليمية وهو عاملٌ جعل علماء المغرب وإفريقيا الفتح يتوّجّهون إلى إرساء تعليم اللّغة العربيّة ومبادئ الدّين الإسلامي، وبناء المدارس والعناية بدور التّعليم القرآني للنّاشئة، وهو ما مهّد لظهور الحواضر العلميّة، وكان عامل ظهور هذه الحواضر الثقافيّة الإسلام واللغة العربية فبفضلهما: "انكبّ شعب الإقليم على البناء والإبداع الحضاري في أوسع مجالاتهما، وفي جوّ من الحريّة السياسيّة والبحبحة الاقتصاديّة، وقامت بالإقليم مراكز حضارية هامّة لا تقلّ مكانا ورقيًّا عن مراكز الشّرق الإسلاميّ. مثل: القيروان وفاس وتيهرت والمسيلة وأشير وقلعة بني حماد وبجاية ومراكش وتلمسان وقسنطينة، إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى وصقليّة الإسلاميّة، التي تعتبر جزءا من هذا الإقليم المغاربيّ، ومن صنعه وإبداعه.وقد أخصب فيها

---

[1] محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية (عالم الكتب، ط 2005) ،169 وما بعدها بتصرف.

[2] انظر: ويل ديورانت، قصّة الحضارة، ، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين( دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: 1408 هـ - 1988 م) ، ج177/13.

[3] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدّويش( دار يعرب، دمشق، ط01، 2004.) ج 91/02.

[4] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ، ترجمة: فاروق بيضون + كمال دسوقي( دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط 08، 1993) ،09.

الفكر ونفقت التّجارة وتطوّر العمران واتّسع وازدهرت الفلاحة والصّناعة، والحياة الاقتصاديّة بصفة عامّة، وتطوّرت الحياة الاجتماعيّة وازدهرت."[1]

وهذا التطوّر كلّه له انعكاس على العملية التربوية، إذ هي استثمار للمنتج المعرفي في إعداد الناشئة، كما أن الإنسان – محلّ العملية التربوية - ما هو إلا ثمرة وإفراز لواقعه وبيئته، فتمدّنه وتحضّره واكتسابه للعلوم والمعارف متوقّف على المؤسّسات التّعلمية والتّربوية التي تنشئها الدّولة، وهذا ما يُفسّر اتّجاه محمّد بن سحنون إلى العناية بتربية النّاشئة من خلال كتابه آداب المعلّمين، حيث كانت العمليّة التّربويّة همّا حضاريا.

وفي هاته الجهة أيضا – المغرب – كان الإسلام يمتدّ بنوره وسماحته، جهة أوروبا، حيث نشهد قيام الدّولة الإسلاميّة في الأندلس، فقد دخل الإسلام إليها في وقت مبكّر جدا ق 01 ه، وكان لانتشار الإسلام واللغة العربية أثر كبير، ويمكن هنا أن نسجل شهادة ألفارو القرطبيّ المسيحيّ في القرن 09 م - 03 هـ، كما نقلها ليفي بروفنسال في كتابه حضارة العرب في إسبانيا، يقول ألفارو القرطبي: "أبناء ديني يحبّون إنشاد الأشعار العربيّة بل إنّهم يدرسون مؤلّفات علماء الكلام لا ليدحضوها أو يفنّدوها وإنّما ليقوّموا نطقهم العربي نُطقا صحيحا ... واحسرتاه لقد نسي النّصارى لسانهم الدّيني، ولا تكاد تجد بين كلّ ألف واحد منّا يستطيع أن يكتب بصورة لائقة رسالة باللّاتينيّة إلى صديق له."[2]

ومن معالم التّمدن والحضارة في الأندلس في هاته الفترة نذكر:- إنشاء المدارس والمساجد والفنادق - انتشار المكتبات حيث وجدت بالأندلس في هذه الفترة 70 مكتبة بها ما يقرب من 4000 مجلد.- انتشار النّدوات العلميّة بطليطلة وبلنسيّة والأندلس وإشبيلية، ويصف لنا المستشرق آدم متز في كتابه النّفيس "الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجري" ولع الملوك والأمراء ومفاخرتهم بالكتب والمكتبات: "وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكلّ ملك من ملوك الإسلام الثّلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرّابع ولع شديد بالكتب، فكان الحكم صاحب الأندلس يبعث رجالا إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها، وكان فهرس مكتبته يتألف من أربعة وأربعين كرّاسة."[3]

وقد خصص المقري في كتابه نفح الطيب جزء للحديث عن فضائل أهل الأندلس وشغفهم بالعلم والمعرفة وعبقريتهم: "في نبذة مما منّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقّد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزّ أو هان وحَوْزِهم في ميدان البراعة، من قصب البراعة، خصل الرّهان، وجملة من أجوبتهم، الدالة على لّوذعيتهم، وأوصافهم المؤذنة بألمعيّتهم."[4]

## 2.1..ترجمته:

جاء في ترجمته: "محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التّنوخي، أبو عبد الله: فقيه مالكي مناظر، كثير التّصانيف. من أهل القيروان. لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه. رحل إلى المشرق سنة 235 هـ وتوفي بالساحل، ونقل إلى القيروان فدفن فيها. ورثي بثلاثمائة مرثية. كان كريم اليد، وجيها عند الملوك، عالي الهمة. من كتبه (آداب المعلمين - ط)."[5]

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة( دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1995) ج 01/ 11.

[2] ليفي بروفنسال ،حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط( منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ)، 80.

[3] آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة،(دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 05، بدون تاريخ، ج 02)، 322.

[4] شهاب الدين المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس(دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997)ج 03/ 150.

[5] خير الدين الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين( بيروت، لبنان، ط 15، 2002) ج 06/ 204- 205.

وجاء في شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة: "الإمام ابن الإمام شيخ الإسلام وعلم الأعلام الفقيه الحافظ النّظار مع الجلالة والثّقة والعدالة ... لم يكن في عصره أحذقَ منه بفنون العلم، له تآليف كثيرة."[1]

وترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك، ومما جاء في ترجمته: "وكان عالماً بالذبّ عن مذهب أهل المدينة، عالماً بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذقَ بفنون العلم منه فيما علمت، قال ابن حارث: كان عالماً فقيهاً مبرزاً، منصرفاً في الفقه والنّظر ومعرفة اختلاف الناس، والردّ على أهل الأهواء، والذبّ عن مذهب مالك."[2]

تلقى محّمد بن سحنون مبادئ العلم والفقه على يد والده سحنون، وكان والدُه يقول لمؤدّبه: لا تؤدّبه إلّا بالكلام الطيّب والمدح، لاعتقاد والده وأملِه أن يكون إمامَ وقته وفريد أهل زمانه.[3]

وترجم له ابن فرحون في الدّيباج، وذكر شيوخه ورحلاته، وممن أخذ عنهم: والده سحنون، وأبو حسّان وموسى بن معاوية وعبد العزيز بن يحيى المدني وغيرهم، كما رحل إلى المشرق، ممّا وفّر له فرصة اللّقاء بالمدينة كثيرا من العلماء، ومنهم:أبو مصعب الزّهري وابن كاسب و سلمة بن شبيب.[4]

وقد كانت شهرة محمّد بن سحنون في الفقه والحديث، كما كان الغالب عليه الفقه والمناظرة والذبّ عن أهل السنّة والردّ على أهل الأهواء، كما كانت له مُشاركة في سائر الفنون الأخرى.[5]

### 3.1.آثاره:

يتّفق من ترجم لمحمّد بن سحنون أنّه كان كثير الوضع للكتب، غزير التأليف، وأدرك من جميع العلوم ما لم يدركه غيرُه من أهل عصره ، ولم يكن في عصره أحذقَ منه بفنون العلم.[6]

وقد ذكر له القاضي عياض في مداركه جملّة مَصنّفاته، ومنها: المسند في الحديث-- الجامع. جمع فيه فنون العلم والفقه- كتاب في فنون العلم. ومن- كتاب السّير – آداب المعلّمين. رسالة في السنّة - رسالته في أدب المناظرة - كتاب تفسير الموطأ- كتاب الحجّة على القدريّة - كتاب الحجّة على النّصارى - كتاب الإباحة - كتاب الردّ على البكريّة. - كتاب الورد - كتاب الإيمان والردّ على أهل الشّرك - كتاب الردّ على أهل البدع - كتاب في الردّ على الشّافعي وعلى أهل العراق - كتاب طبقات العلماء - كتاب الأشربة- غريب الحديث- كتاب التّاريخ- وألّف في أحكام القرآن.[7]

وعلى هذا كان محمّد بن سحنون بارعا في فنون العلوم الشّرعيّة، لا سيما الفقهُ والحديث، وهما ما نجد لهما حضورا كبيرا في كتابه آداب المعلّمين، موضوع الدّراسة، وقد كانت وفاة محمّد بن سحنون - على الأرجح - سنة 256ه، رغم الاختلاف في هذ.

## 2. النصّ الحديثيّ ومضامينه التربويّة الأخلاقيّة عند محمد بن سحنون من خلال كتابه وأبوابه:

---

[1] محمد بن مخلوف، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة، تحقيق:عبد المجيد خيالي(دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003)ج 01/ 105.

[2] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق : عبد القادر الصّحراوي(مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب ط01، 1970م)، 204/4.

[3] محمد محفوظ،تراجم المؤلّفين التّونسيين،(دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط 02، 1994) 19/03.

[4] انظر: ابن فرحون، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي (دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ) 169/2.

[5] انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق:بشير البكوش(دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، ط1994،02 م) 13/1. وانظر أيضا: الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصدر سابق، ج02، ص169.

[6] انظر: قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية( دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط01، 2002 م) 2/ 174.

وانظر أيضا: شجرة النور الزكية، مصدر سابق،/1-105.

[7] انظر سرد مؤلّفاته في : ترتيب المدارك، مصدر سابق،207/4.وانظر أيضا : مقدّمة حسن حُسني عبد الوّهاب، في: آداب المعلّمين، محمد بن سحنون، تحقيق: حسن حُسني عبد الوّهاب( تونس 1972) 25 وما بعدها بتصرّف.

يُعتبر محّمد بن سحنون من فقهاء المالكيّة من أهل القيروان، من أبرز كتبه التي تضمّنت آراءه التربوية كتابه آداب المعلمين، وقد نُشر الكتاب سنة 1929م بإشراف اللّجنة التّونسيّة لنشر المخطوطات. بتحقيق الباحث: حسن حُسني عبد الوّهاب.

يتجلى الملمح التربوي في الكتاب من خلال منهج مؤلّفه فيه فقد بوّبه إلى عشرة أبواب تُعتبر معالم الفكر التربويّ عند الرّجل، وهي: (ما جاء في تعليم القرآن- العدل بين الصبيان- ما يُكره محوه من ذكر الله- ما جاء في الختم- ما جاء في العطيّة- ما يُخلّى فيه الصبيان- ما يجب على المعلّم من لزوم الصبيان- أُجرة المعلّم- إجازة المصحف وكتب الفقه (الجائزة والعطيّة)- ما يجوز من العقاب وما لا يجوز).[1]

**وقد** كان لابن سحنون فضل السّبق في التّأليف في موضوع التربيّة الإسلاميّة، وهو أول كتاب في موضوعه (الفكر التربوي).

وقد اعتمد عليه من ألف بعده في الموضوع نفسه كالقابسيّ (324 ه- 402 ه) فقد كتب كتابا سماه (أحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين).أما عن آرائه التربوية، فقد جاءت نظرته متناغمة مع البيئة الأسرية التي عاش فيها والمشرب الفقهيّ الذي ينتمي إليه: "ولقد جاء مفهوم ابن سحنون عن التربيّة متأثّرا بإطار الفقه المالكيّ الذي ساهم في إرساء قواعده والدُه سحنون فقيه المغرب المشهور، كما قصره على تربية الأطفال والقواعد التي يلتزم بها من يُعلّمهم، ونظر ابن سحنون إلى التربيّة على أنّها عقد إيجار بين المعلّم وأولياء الأمور، وطالبَ المعلّمَ بالتزام شروط العقد، كأن يساوي بين الصّبيان في التّعليم، وأن يتفرّغ لهم أثناء ذلك فلا يتشاغلُ بعمل آخر."[2]

والأبواب العشرة التي تناولها ابن سحنون كان قد استخلصها من القرآن الكريم والسنّة النبوية، وإنما يرجع الفضل إليه في تبويبها وترتيبها، وكتابه عبارة عن أحاديث وآثار مسندة ألقاها على والده سحنون المتوفَّى سنة (240 ه)، والذي كان إماما في المذهب المالكيّ ببلاد المغرب.

وسنقف مع الكتاب لنستخرج منه معالم الدّرس الأخلاقي مُتّبعين في ذلك منهج ابنِ سحنون نفسِه من خلال الأبواب العشرة التي بُنيَ عليها الكتاب.

**1.2.- ما جاء في تعليم القرآن العزيز، ومن الأحاديث التي أوردها محمّد بن سحنون:**

قال محّمد بن سحنون: حدثني أبي سحنون عن عبد الله بن وهب عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان τ أن رسول الله ρ قال: «أفضلُكم من تعلّم القرآنَ وعلّمه».[3] وحديث عليّ بن أبي طالب عن النبيّ ρ قال: «يرفع الله بالقرآن أقواما »[4]، وحديث أنس بن مالك τ «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» فقيل : من هم يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال هُمْ حملة القرآن، هم أهل الله وخاصّتُه»[5]

---

[1] انظر محتوى الكتاب في: آداب المعلّمين،191.

[2] انظر: ماجد عرسان الكيلانيّ،تطوّر مفهوم النظريّة التربويّة الإسلاميّة (دار ابن كثير + مكتبة دار التراث، دمشق + بيروت، ط 02، 1985) 113.

[3] أخرجه البخاري عن عثمان τ بزيادة إن في أوله، كتاب فضائل القرآن الكريم، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: 5028. انظر: البخاري محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق:محمد زهير بن ناصر الناصر(دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422ه) 192/06.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطّاب τ بلفظ «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».كتاب: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، رقم: 269. انظر :مسلم بن الحجّاج،صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي( دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ) 01/ 559.

[5] انظر هذه الأحاديث الواردة في كتاب: آداب المعلّمين، ص 75 وما بعدها. وهذا الحديث أخرجه ابن ماجة عن أنس بلفظ قريب: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم: 215. انظر: ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي(دار إحياء الكتب العربية،ط فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ) 01/ 78،

ولاشكّ أنّ مركزية التعليم القرآني يُمثّل قاعدة الدّرس الأخلاقي التّربوي، فهو وعاء القيم كلّها، الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية،"فإن الصغير إذا بدأ في حفظ القرآن الكريم ومعرفة تعاليم الدين- اتصلت هذه التعاليم بشخصيته كلّما نما وبلغ مبلغ الرجال, فتمتد البواعث الدينية في نفسه."[1]

وقال الإمام جلال الدّين السّيوطي في الإتقان في كيفية تحمّل القرآن:" اعلم أنّ حفظ القرآن فرض كفاية على الأمّة صرّح به الجرجاني في الشّافي والعبّادي وغيرهما. قال الجويني: والمعنى فيه ألّا ينقطع عدد التّواتر فيه فلا يتطرّق إليه التّبديل والتّحريف

فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين وإلا أثم الكلّ،وتعليمُه أيضا فرض كفاية وهو من أفضل القُرَب."[2]

وقد أبان الله عزّ وجل في مُفتتح التّنزيل أن هذا الوحي هُدى للنّاس ومرشد ومقوّم لسلوكاتهم وشفاء لما في صدورهم وقلوبهم من الأمراض وأنفسهم من العلل والعاهات، من ذلك قوله تعالى:( ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ( البقرة:02)، وجاء في تفسير هذه الآية :" ذلِكَ الْكِتابُ الذي لا يقرب ساحتَه شكٌّ ولا ارتيابٌ، هو عين الهداية لأهل التّقى من ذوي الألباب، فلا يزالون يَتَرَقَّوْنَ به في المقامات والأحوال حتّى يسمعوه من الكبير المتعال."[3]

وقوله تعالى:( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ( الإسراء:82)، وفي الحديث في سؤال عائشة رضي الله عنها عن النبي ρ قالت« كَانَ خلقه الْقُرْآن»[4]

وعلى هذا تتحدّد مركزية القرآن الكريم تعليما وحفظا من خلال راهن الأمة، وهيمنة الكمّ والثّقافة السّائلة وانتشار التكنولوجيا الحديثة، حتّى أضحى العالم رقميّا، ممّا أدّى إلى زحزحة كثير من القيم والأخلاق داخل الأسرة الواحدة، ناهيك عن الأثر النّفسي السيّء لها حيث تحوّل الأفراد إلى كائنات صناعيّة أو ربوتات، ولا يُمكن علاج هذا الإشكال إلا ببديل روحيّ تربوي أخلاقي يُعيد للإنسان مكانته وقيمته ويُذكّره بوظيفته ورسالته وهي العبوديّة لله تعالى من خلال ذكره الدّائم، وهذا ما يُحقّقه القرآن الكريم.

### 2.2.باب ما جاء في العدل بين الصّبية:

عالج ابن سحنون في هذا الباب العدل باعتباره قيمة خُلُقية لا بدّ للمعلّم من الالتزام بها بين المتعلّمين، وقد ارتبط العدل بالممالك والدّول، لكنّه في الأساس قيمة خُلقيّة يمكن أن تتجلّى في شعاب الحياة كلّها في الفرد والأسرة والمجتمع والدّولة، لأن المنوط به تحقيق العدل يُعتبر مسؤولا ابتداء على ما استرعاه الله تعالى،وهذا ما بيّنه النبي الأكرمρ وفي الحديث عن ابن عمر« أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[5]

---

[1] كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي (دار المعرفة الجامعية، ط1998،01)،110.

[2] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم( الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1974)243/1.

[3] أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان( الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة،بدون تاريخ)73/1.

[4] أخرجه مُسلم من حَدِيث أنس وَذكره البُخَارِيّ تَعْلِيقا.انظر: أبو الفضل زين الدين العراقي، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار(دار ابن حزم، بيروت،لبنان،ط2005،01)838.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ
رقم: 1829.

وقد استدلّ ابن سحنون –رحمه الله- على هذه القيمة الخُلقيّة بحديثين اثنين، أولاهما: عن أنس τ قال: قال رسول الله ρ: « أيّما مُؤدّب وليَ ثلاثة صبية من هذه الأمّة فلم يعلّمهم بالسويّة، فقيرهم مع غنيّهم ، وغنيّهم مع فقيرهم حُشر يوم القيامة مع الخائنين. »[1]

أمّا ثانيهما فهو أثر عن فضيل بن عياض عن ليث عن الحسن، قال: « إذا قوطِع المعلّم على الأجرة، فلم يعدل بينهم- بين الصبيان- كتب من الظّلمةِ. »[2]

يأتي العدلُ كقيمة خُلقيّة هامّة يُمكن أن تُثمر إذا غرست في نفوس النّاشئة والمتعلّمين، فالمعلّم مربّي وأب، وتحقيقه للعدل بينهم واجبٌ، جالبٌ للخير وزارعٌ للمحبّة بينهم ودافعٌ للقيم السلبيّة كالعداوة والبغضاء والشّحناء والحسد،وفي الحديث عن النبي ρ

عن النّعمان بن بشير τحين تصدّق عليه أبوه ببعض ماله دون إخوته، وعرضت أمّه عمره بنت رواحة الأمر على النبيρ ، فقال: «اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ»[3]

وعلى هذا فتربية الأبناء على قيمة العدل هو تأسيس لأسرة ومجتمع يسود فيهما العدل وتحقّقُ المساواة بين أفراده، وهو ما يمنع التّزاحم والتّصادم ويزكّي النّفوس من العداوة والبغضاء وينشر المحبّة والأخوة، ناهيك عن الثّقة.

### 3.2. باب ما جاء في الأدب وما يجوز ذلك وما لا يجوز

عالج محمّد ابن سحنون في هذا الباب معاملة المعلّم للمتعلّمين وتأديبه إيّاهم بالضّرب أو بغيرهن مع بيان حدود ذلك، مُضمّنا حديثه بعض القيم الأخلاقية الواجب عليه الالتزام بها، مُستدلّا على هذه القيم الخُلقيّة بجملة أحاديث منها: عن عكرمة عن ابن عباس τ قال: قال سول الله ρ : «شرارُ أمّتي معلّمو صبيانهم أقلُّهُم رحمةَ لليتيم، وأغلَضُهم على المسكين»[4]

وهذا الحديث استدلّ به ابن سحنون في سياق حديثه عن سيف بن محمد، وقد كان جالسا فجاءه ابنُه باكيا فسأله: ما يُبكيك؟، قال: ضربني المعلّم، ثمّ ذكر نص الحديث السّابق، وقد علّق ابن سحنون على هذا ذاكرا علّة كراهية الضّرب لكونها مقرونة بغضبِ المعلّم لا بكونها بمقصد التربية والتّوجيه، وهذا في غاية اللطف وقمّة العدل أن يفصل المعلّم بين حالاته ووجدانه وبين واجبه تجاه تلاميذه، وهذا أشبه بقصّة أوردها مولانا جلال الدّين الرّومي في ديوانه المثنوي عن سيّدنا عليّ τ حين كان في أرض المعركة وبارز مُشركا وانتصر عليه،فوقع المشرك على الأرض، فبصقَ على وجه سيدنا علي τ، فما كان من الإمام عليّ إلّا أن ألقى بسيفه على الأرض وترك قتل المشرك، فسأله قائلا: لم لم تقتلني يا أمير المؤمنين؟ فقال له مجيبا: كنت أقاتل في سبيل الله ، لكن لو قتلتك الآن لقتلتك انتصارا لنفسي حين بصقتَ عليّ؟![5]

فانظر إلى عُمق هذا الإيمان وسموّ هاته الأخلاق والقيم، وكيف يحقّق الرجلُ العدلَ حتى مع نفسه وعدوّه، وهي قيمة خُلقية سامية أرساها القرآن الكريم وبيّنها في قوله تعالى :( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) ( المائدة:08)، وجاء في تفسيرها وبيان معناها :" فيجب على العبد كفّ أذاه عن المشركين وحمل الجفا منهم، وألاَّ ينتقم لنفسه ممَّن آذاه منهم، ولا يحمله ما

---

[1] قال المحقّق: لم أعثر على هذا الحديث في المجاميع المشهورة، والغالب على الظنّ أنّه أثر من كلام مالك بن أنس، وإنّما زاد النّاسخ من عنده في النّقل قال رسول الله ρ. انظر: آداب المعلمين، مصدر سابق، هامش 85.

[2] المصدر نفسُه،85.

[3] أخرجه مسلم عن النّعمان بن بشير، كتابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهِبَةِ، رقم: 1623.

[4] جاء في كشف الخفا «شراركم معلمو صبيانكم، أقلهم رحمة على اليتيم، وأغلظهم على المسكين. » قال في اللآلئ: موضوع.انظر: إسماعيل بن العجلوني،كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي(المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ط2000،01)
8/2

[5] يُنظر: جلال الدين الرومي، المثنوي، ترجمة: عبد السلام كفافي،( المكتبة العصرية، بيروت صيدا، ط01، 1966)،419/01

أصابه منهم على أن يعتدي عليهم ولو بالدعاء، بل إن وسَع الله صدره بالمعرفة قابلهم بالإحسان، ودعا لعدوّه بصلاح حاله حتى يأخذ الله بيده، وهذا مقام الصّديقيَة العظمى والولاية الكبرى، وهذا غاية البرّ والتقوى الذي أمر الله- تعالى- بالتعاون عليه، والاجتماع إليه، دون الاجتماع على الإثم والعدوان، وهو الانتصار للنفس والانتقام من الأعداء، فإن هذا من شأن العوامّ، الذين هم في طرف مقام الإسلام."[1]

**4.2. ما ينبغي أن يُخلّى الصّبيان فيه:**

وفي هذا الباب عالج ابن سحنون قيمة خُلقيّة رفيعة تتمثّل في الأمانة والتّقوى، من خلال تعامل المعلّم مع تلاميذه، فينبغي أن يكون مقصدُه تعليمهم وتأديبهم وتربيتهم، ولا ينصرف لغيره، كأن يرسلهم لقضاء جاجاته، أو يرسلَ الصّبيانُ بعضهم البعض لقضاء حوائجهم، قال ابن سحنون في هذا الصّدد:" قلتُ أفيرسلُ الصّبيان بعضهم في طلب بعض؟قال: لا أرى ذلك يجوز له إلّا أن يأذنَ له آباؤهم أو أولياء الصّبيان في ذلك، أو تكون المواضع قريبةً، لا يشتغلُ الصبيّ في ذلك، وليتعاهد الصّبيان هو بنفسه في وقتِ انقلاب الصّبيان، ويُخبرُ أولياءهم أنّهم لم يجيئوا ."[2]

وهذه الآداب والقيم مُقتبسة من الوحي الشّريف، ففي القرآن الكريم تأكيد على الالتزام بالمواثيق والعهود وآداء الأمانات، والتُعليم والتّربية عقد بين المعلّم وأولياء الصبيان والتّلاميذ، قال تعالى:( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ( المائدة:01)، وجاء في تفسيرها:" أي: بالعهود التي عَهِدْتُ إليكم أن تحفظوها، وهي حفظ الأموال، وحفظ الأنساب، وحفظ الأديان، وحفظ الأبدان، وحفظ اللسان، وحفظ الأيمان."[3]

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا )ا( الإسراء: 34)

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) ( النّساء:58)، وقال ابن كثير في تفسيرها:" وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله، عز وجل، على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفّارات والنذور والصيام، وغير ذلك، ممّا هو مؤتمن عليه لا يطلّع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به."[4]

وعلى هذا كان التزام المعلّم بالتعليم فقط أمانة، فالصبيان وديعة عنده من طرف أوليائهم وآبائهم، واستعمالهم في غير التّعليم من غير إذن الوليّ خيانة للأمانة والعهد، وفي هذا الصّنيع تربية خُلقيّة رفيعة للمتعلّمين،فينشأون على ذلك ويتشرّبون قيم الأمانة والعهد، فتسودُ الثّقة وتنعدم الخيانة، ولهذا جاء تأكيد الحقّ على هذا في مواضعَ عديدةٍ، منها قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) ( المؤمنون :08)، وقوله: ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ( الأنفال:27)

وفي السُنّة النّبويّة أحاديث كثيرة تؤكّد على هاته القيم الخُلقية، منها قول النبي ρ «أدّ الأمانةَ إلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[5].

وعن أبي ذرّ τ ،قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»[6]

وتتجلّى الأمانة في هذا السّياق وأداؤها كملمح أخلاقي بارز، فهي تدخل في الواجب، باعتبارها أدائها خُلقا باطنيا عُمقيا، يقول عبد الله درّاز:"الأمانة" من حيث هي اتفاق باطني للمرء مع نفسه على موقف معين."[7]

---

1 البحر المديد، مرجع سابق،02/5-6.

2 : آداب المعلمين، مصدر سابق، 97.

3 البحر المديد، مرجع سابق،02/03.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة(دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1999،02)02/338

5 رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة, وقال الترمذي: حسن غريب. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، مرجع سابق، 84/1.

6 أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة،رقم: 1825.

7 عبد الله درّاز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم،(مؤسسة الرسالة،ط10، 1998م)،676.

وهذا الاتّفاق الباطني هو الضّمير الحيّ والقلبُ المليء بالإيمان، الذي يدفعُ إلى الالتزام بها ، فالصّدق في العهد والوعد فضيلة خُلُقيّة أمِر المؤمنون بالتحلّي بها، والكذب فيه من الرّذائل الخلقيّة التي يتجنّبها المؤمن الصّادقُ[1]
وقد ذكر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني المجالات التي تخل فيها الأمانة، وهي كثيرة، منها الولاية:" فمن الأمانة في الولاية تأدية الحقوق إلى أهلها وإسناد الأعمال إلى مستحقّيها الأكفياء لها."[2]
ويؤكّد محمّد بن سحنون على هاته القيمة الخُلُقية – الأمانة والعهد- بقوله:" ولا يحلّ له أن يأمر أحدا أن يعلّم أحدا منهم، إلا أن يكون في ذلك منفعة للصبيّ في تخريجه أو يأذنَ له والدُه في ذلك، ولْيَلِ هو ذلك بنفسِه أو يستأجرْ من يُعينُه إذا كان في مثل كِفايته."[3]
وهذا الكلام من ابن سحنون في غاية النّفاسة واللّطافة والعُمق، وهو تأكيد على القيمة الخُلقية التي ذكرنا، المتمثّلة في أداء الأمانة والالتزام بالمواثيق والعهود وحفظ حقوق العباد، وهذا الصّنيعُ من شأنه أن يُسهم في إنشاء جيل مُلتزمٍ بواجباته حافظا لعهوده ومواثيقه مُؤديّا لأماناته، قائما بمسؤوليته المنوطةِ به على أكمل وجه.

### 5.2.العفّة والورع:

من القيم الخُلقية التي عليها مدار الأخلاق العفّة ، وهي أساس في فلسفة الأخلاق وقدّم أفلاطون تحليلا أخلاقيا يتعلّق بالفرد والدولة على حد سواء ،وبيّن أن فضائل الفرد تتركز في العفّة والشّجاعة والحكمة والعدالة ،فالعفّة للنّفس الشّهوانية ،والشجاعة للنفس الغضبيّة ،والحكمة للنّفس العاقلة ،وإذا تركنا كل نفس لما خلقت من أجله تحققت الفضيلة الرابعة وهي العدالة ،وهذا ينطبق على الدولة كالآتي :
-العفّة :فضيلة الطبقة العمالية من زراع وتجار وصناع.-الشجاعة فضيلة الجند والحراس.-الحكمة فضيلة طبقة الفلاسفة .
-العدالة :تتحقق إذا حققت الطبقات الثلاث الفضائل المنوطة بها [4]
أمّا مفهومُ العفّة فهو:" كفّ النّفسِ عن المحارم وعمّا لا يجْمُلُ بالإنسان فعلُه، ومنها العفّة عن اقتراف الشّهوة المُحرّمة، وعن أكل المال الحرام، وعن ممارسة ما لا يليقُ بالإنسان أن يفعلَه ممّا لا يتناسبُ مع مكانته الاجتماعيّة."[5]
وعليه فخُلقُ العفّة مُرداف لقيمة الورع والتّقوى في الإسلام، وقد عرّفه الجرجاني بقوله:" الورع: هو اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات، وقيل: هي ملازمة الأعمال الجميلة."[6]
وهي القيمة الخُلقيّة التي عالجها ابن سحنون في كتابه تحت باب" ما يجبُ على المعلّم من لزوم الصّبيان"، وقد وظّف ابن سحنون المَصطلح الفقهي – الحلُّ وعدمه- وفيه تأكيد على حُرمة الفعل أو إباحته، فقال:" ولا يحلّ للمعلّم أن يشتغلَ عن الصّبيان إلّا أن يكون في وقتٍ لا يعرّضهم[7] فيه، فلا بأس أن يتحدّث وهو في ذلك ينظرُ إليهم ويتفقّدُهم."[8]

---

[1] يُنظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها( دار القلم،دمشق+ الدّار الشّامية بيروت، ط1999،05)، 549/01.
[2] المرجعُ نفسُه،649/1.
[3] آداب المعلّمين، مصدر سابق،98؟
[4] يُنظر:ويليام ليلي ،مقدمة في علم الأخلاق ،ترجمة: علي عبد المعطي محمد (منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ،ط 2000)، 48 وما بعدها بتصرف .
[5] الأخلاق الإسلاميّة وأسسها، مرجع سابق،581/02.
[6] الجرجاني، التّعريفات(دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1983،01)،252.
[7] يُعرّضهم أي يستمع إلى تلاوتهم ويختبرُ حفظهم.
[8] آداب المعلّمين، مصدر سابق،98.

وهذا الكلام نفيسٌ يؤكدّ على مسلك الورع والتّقوى والعفّة في الإسلام، والنّصوص الشّرعيّة حافلة بهاته القيمة الخُلقيّة، منها وإن كان الورعُ لم يردْ في القرآن بنصّه، إلا أنّه ورد ما يدلّ عليه، وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الورَع هو ما جاء في قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)( البقرة:229)، وقد ذهب الحسنُ τ أنّ المراد بها هنا الورعُ، وعلّق القرطبي على قوله مُبيّنا أن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل. مع أنّ أصلها ما يمتنع به من السّفه، وهو كل فعل قبيح[1]

وفي السّنّة النبوية تأكيد على هاته القيمة الخُلقيّة، منها قوله ρ «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».[2]

ويؤكدّ ابن سحنون في كتابه على قيمة العفّة- الورع- في تعامل المعلّم مع صبيانه وتلاميذه وسلوكه داخل الكتّاب بأمثلة توضيحيّة، منها منعُ المعلّم من الأكل من الفاكهة التي يؤتى بها للصّبيان للفرح بهم عند ختمِ كتاب الله من طرف النّاس معلّلا ذلك بأنّها تُعتبرُ نُهبةً مستدلّا بنهى النبي ρ عن أكل طعام النّهبة،

جاء فيه :«أنه نثر شيء في إملاك، فلم يأخذوه، فقال: ما لكم لا تنتهبون؟ قالوا: أوليس قد نهيت عن النهبى؟ فقال: إنما نهيت عن نهبى العساكر، فانتهبوا»[3]

- ✓ **خاتمة:**

في ختام هذه الورقة البحثيّة نخلص إلى أهمّ النتائج ومنها:

1.اتّجاه محمد بن سحنون للكتابة في الدّرس التربوي الأخلاقي كان نتيجة إفرازات حركة التّرجمة وشيوع الفكر الفلسفي اليوناني، ممّا دفعه إلى الكتابة في هذا الجانب تأكيدا منه على تأثير الفكر الوافد على أخلاق النّاشئة والأبناء.

2.المرجعية الإسلاميّة في فكر محمّد بن سحنون، وهو ما يؤكّده التأصيل الشّرعي للمباحث التي تناولها من القرآن الكريم والسنّة النبوية، وفي هذا دفاع ضمني عن هاته المرجعيّة الإسلامية في ظلّ امتداد الفكر الفلسفي اليوناني.

3.النّزعة الفقهيّة والحديثية في كتاب محمّد بن سحنون، وهو ما يؤكدّه استعمال المصطلح الفقهي والاستدلال بأحاديث النبي ρ التي شكّلت معظم الكتاب، ولا غرابة في ذلك فقد كان الرّجل محدثا وفقيها

4.سبق التأليف في الدّرس الأخلاقي التّربوي في مدرسة المغرب الإسلامي من خلال محمد بن سحنون( ت 256هـ)، رغم ارتباط درس الأخلاق بابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق وتطير الأعراق.

5. عناية محمد بن سحنون بالتّربية على القيم آنذاك من خلال معالجة الآداب التي يجب على المعلّمين والمؤدبين الالتزام بها في تعليمهم للصّبيان، وفي هذا تنشئة ضمنية للمتعلّمين من خلال ما يُعرفُ بالتّربية بالقدوة.

6.أهميّة كتاب محمّد بن سحنون بالنظر إلى إطاره الزمني – 256هـ- فقد كان توطئة للدّرس الأخلاقي التربوي العملي لمن جاء بعده.

---

[1] يُنظر: القُرطبي، الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة،ط1964،02)،330/3.

[2] أخرجه مسلم عن النّعمان بن بشير، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم:1599.

[3] مجد الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى + محمود محمد الطناحي(المكتبة العلمية، بيروت،ط 1979م)
.133/05

7. ضرورة استثمار رؤية ومشروع محمد بن سحنون التّربوي التّعليمي في واقعنا الرّاهن في ظلّ العولمة وطُغيان الفكر المادّي، مع السّعي إلى ربط النّاشئة بمرجعيتهم الإسلاميّة، من خلال تضمين نصوص الوحي الشّريف – القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشّريفة- في مناهج التّعليم، واستثمار ما فيها من قيم وأخلاق.
8. المُراهنة على التّعليم القرآني باعتباره أساسا تربويا هامّا، ووعاء للقيم والأخلاق والفضائل، كوسيلة لمواجهة التحديّات المتمثّلة أساسا في الغزو الفكري الذي يمتدّ في فراغنا.

**وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيّبين الطّاهرين**

- ✓ **قائمة المصادر والمراجع**


- ✓ - محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية (عالم الكتب، ط 2005)
- ✓ - انظر: ويل ديورانت، قصّة الحضارة، ، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين( دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: 1408 هـ - 1988 م)
- ✓ - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدّويش( دار يعرب، دمشق، ط01، 2004.)
- ✓ - زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ، ترجمة: فاروق بيضون + كمال دسوقي( دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط 08، 1993)
- ✓ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة( دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1995)
- ✓ - ليفي بروفنسال ،حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط( منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ)، 80.
- ✓ - آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة،(دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 05، بدون تاريخ، ج 02)
- ✓ - شهاب الدين المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس(دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997)
- ✓ - خير الدين الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين( بيروت، لبنان، ط 15، 2002)
- ✓ -محمد بن مخلوف، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة، تحقيق:عبد المجيد خيالي(دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003)
- ✓ - القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق : عبد القادر الصّحراوي(مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب ط01، 1970م)
- ✓ - محمد محفوظ،تراجم المؤلّفين التّونسيين،(دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط 02، 1994)
- ✓ - ابن فرحون، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي (دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ)
- ✓ - انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق:بشير البكوش(دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، ط1994،02 م)

- انظر: قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية( دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط01، 2002 م)
- محمد بن سحنون، آداب المعلّمين، تحقيق: حسن حُسني عبد الوّهاب( تونس 1972) 25 وما بعدها بتصرّف.
- ماجد عرسان الكيلانيّ،تطوّر مفهوم النظريّة التربويّة الإسلاميّة (دار ابن كثير + مكتبة دار التراث، دمشق + بيروت، ط 02، 1985)
- البخاري محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق:محمد زهير بن ناصر الناصر(دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422ه)
- مسلم بن الحجّاج،صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي( دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ)
- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي(دار إحياء الكتب العربية،ط فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ)
- كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي (دار المعرفة الجامعية، ط1998،01)
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم( الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1974)
-أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان( الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة،بدون تاريخ)
- أبو الفضل زين الدين العراقي، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار(دار ابن حزم، بيروت،لبنان،ط2005،01)
- إسماعيل بن العجلوني،كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي(المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ط2000،01)
- جلال الدين الرومي، المثنوي، ترجمة: عبد السلام كفافي،( المكتبة العصرية، بيروت صيدا، ط01، 1966)
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة(دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1999،02)0
- عبد الله درّاز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم،(مؤسسة الرسالة،ط10، 1998م)
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها( دار القلم،دمشق+ الدّار الشّامية بيروت، ط1999،05)
- ويليام ليلي ،مقدمة في علم الأخلاق ،ترجمة: علي عبد المعطي محمد (منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ،ط 2000)
- الجرجاني، التّعريفات(دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1983،01)
- القُرطبي، الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة،ط1964،02)
- مجد الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى + محمود محمد الطناحي(المكتبة العلمية، بيروت،ط 1979م)